فهد بن عبدالعزيز
رجل الأفعال الخالدة والعطاءات الخيِّرة

عبدالرحمن بن علي الجريسي
رئيس الغرفة التجارية والصناعية بالرياض

في لحظة من لحظات التجرد والموضوعية، وبعيدًا عن أدنى تكلّفٍ ومجاملة، تحاول هذه الأسطر القليلة أن تخوض في بحر زاخر من أعمال البناء والعطاء لرجل فذ سبقت أفعاله أقواله، هو مليكنا المفدى فهد بن عبدالعزيز، يحفظّه الله ويرعاه.

والأمل معقودٌ أن يمسّ قلمي هذا من قريب أو بعيد بعض إنجازاته الخيّرة وشمائله الحميدة من باب: ما لا يُدرك كلّه لا يترك جلّه، خصوصًا وأن فترة حكمه الميمون شهدتْ أحداثاً بالغة الخطورة، باهظة الكلفة، وهي أعباء لا يتصدى لها إلا ما ندر جداً من بين بني البشر الذين يتمتعون بالخبرة الكافية والحكمة البالغة؛ المعززة بعبقرية القرار وحسن الاختيار، وإن المرء ليعجز عن أي صفةٍ ينبغي وضعها أمام الرجل فهد بن عبدالعزيز مقابل هذه الأعباء العظيمة والمهام ذات الحساسية الشديدة التي بذل لها شبابه وخصها بجل وقته داخلياً وخارجياً، مما كان له الأثر العظيم في استتباب الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية طوال عقدين من الزمان، على النحو الذي نتمثله ونستشعره جميعنا - نحن المواطنين - رخاءً ونماءً واستقراراً وأحلاماً، ما خبت جذوتها - بحمد الله - أبداً، ولذا فإن الخوض في بحور شمائله وصفاته أيسر كثيراً من الخروج منها.

وبأخلاق المسلم وبسالة الشجاع قاد فهد بن عبدالعزيز آل سعود الأمتين : الإسلامية والعربية نحو مزيدٍ من التضامن والحضور القوي في جميع المحافل الإقليمية والدولية، وبفضل الدعم الجَسور الذي قدمه الفهد - يحفظه الله ويرعاه - إلى قضايا الأمة العربية والإسلامية تغيرت كثيرٌ من مواقف الدول والمؤسسات على مستوى العالم، وتجاه مسائلَ جوهريةٍ تمسّ الأمن القومي، بل وجود دول بأكملها على الخارطة السياسية.

والمرء يستشعر ميل الإنسان " فهد بن عبدالعزيز " الفطري نحو مكارم الأخلاق ونكران الذات من اختياره للقب " خادم الحرمين الشريفين ". والاختيار اللائق هذا أتبعه - حفظه الله - بالعمل الدؤوب المكلّل بوقار الصمت، في إنجاز أكبر توسعةٍ شهدها الحرمان الشريفان، توسعة تَرافق معها إنشاء العديد من المَرافق والخدمات التي وفرت أفضل الظروف لضيوف الرحمن، حتى إن هذه الأريحية التي ما بخل عليها بالمال والإنفاق والجهد والمتابعة، سارت بأخبارها الركبان.

ولما كان الفهد واسع الصدر، دقيق المعرفة، شديد الحب للوطن والمواطنين؛ فقد جعلته تلك الطباع رجلاً إدارياً فذاً، فقام بإحداث أكبر نهضةٍ تنمويةٍ شهدتها المملكة وكانت هاجسه الأكبر، فاستقطب لهذا الغرض كبريات الشركات العالمية ذات الخبرة الواسعة في مجالات اختصاصها، وأشرك معها كلَّ أبناء الوطن المخلصين في القطاعات الحكومية والخاصة لإتمام النقلة النوعية للمملكة من الصف الثالث إلى الصف الأول، ومن التقليدية إلى العصرية في مجالات: التعليم والصحة والاقتصاد والأمن... وها هي الأرقام والإحصاءات، وما تشاهده العين، توضح كيف أن ذلك قد تم في زمنٍ وجيزٍ بمعدلاتٍ فاقت كلَّ تصور.

لقد حرص - يحفظه الله - على ترسيخ مبدأ المؤسسات والشورى، في منظومة الحكم في البلاد؛ فشهدت المملكة خلال عهده الزاهر، أكبرَ طفرةٍ في مجال تطوير الأنظمة السياسية والإدارية، مثل نظامِ الحكم، ونظام مجلس الشورى، ونظام المناطق، وغيرها الكثير الكثير.

لقد حرص - يحفظه الله - على ترسيخ مبدأ المؤسسات والشورى، في منظومة الحكم

ونال القطاع الخاص في عهده الميمون أكثرَ الفرص والاستحقاقات في مجال المشاركة في عملية البناء والتنمية؛ فكان هذا القطاع - حقاً - خير معينٍ للدولة في مقصدها الحضاري الرئيس المتمثلِ في ضرورة تحقيق رفاهية المواطن السعودي.

وفي الشأن الخارجي ظهرت عبقرية الاختيار، وجعلت الملك فهد بن عبدالعزيز ينأى ببلده وشعبه عن مزالق الاستقطاب والتحول يميناً أو يساراً؛ فكانت الحكمةُ ضالتَه، والثباتُ ديدنَه، وكان الانعطافُ لما يمليه عليه دينُه بوصلتَه، وعدمُ التدخل في شؤون الآخرين وسيلتَه؛ فَعُرفت المملكة بناءً على هذه السياسة الحكيمة بأنها الملجأ والملاذ لجميع الفرقاء والخصماء، يسترشدون بحكمة قيادتها، ويختارون ما تختاره لهم طريقاً للصلح ؛ لكنه قاد في المقابل مبادراتٍ عديدةً، أثمرتْ في تعزيز الثقة والاستقرار بين المملكة وجيرانها، وفي حلّ القضية اللبنانية، وإنهاء محنة الأشقاء في الكويت، ومثابرةٍ لا تنقطع لإنهاء محنة الأشقاء في فلسطين؛ إنه - بأوجز عبارة - يمتلك أنجع الحلول لأعقد القضايا، ومنها المسائلُ الحدودية مع الدول المجاورة.

وللفهد جهودٌ جبارةٌ في خدمة الإسلام في جميع أنحاء الكرة الأرضية؛ أنشأ المراكز والمساجد ومؤسسات الإغاثة، خاصة في أشد المناطق حاجةً لها؛ في إفريقيا، والبلقان، وفي آسيا، وأوروبا، وأمريكا الجنوبية، والشمالية، وكانت طباعة المصحف الشريف والعناية بأمره

جهداً متصلاً للرجل العظيم، في سياق خدمة الدين الإسلامي.

إن للفهد يداً ميمونةً ومأمونةً تجاه الوطن والمواطن، وإن الاحتفاء بهذه المناسبة العزيزة، لهو أقلُّ القليل مما يمكن أن يردّ بعض الجميل إليه بوصفه رجل الأمة.

واللهَ - تعالى - ندعو، ولله نبتهل، بأن يحفظ مملكتنا ومليكنا وجميع ولاة أمورنا، وشعبنا السعودي، وأن يعصمهم وإيانا من كل بلاء وشقاء، وأن يبقى بلدنا دائماً فتيةً غنيةً متميّزة.